دفاتر علم الاجتماع المجلد 11 العدد: 02 السنة /2023
ISSN: 2335-1527 / E-ISSN : 8174-2830 ص ص 09- 23

المرض الاجتماعي ...قراءة سوسيولوجية في فكر مالك بن نبي

Social disease ... a sociological reading in the thought of Malik bin Nabi

مريم حزورلي جامعة الجزائر02

mariem.hazourli@gmail.com

تاريخ الإرسال :	تاريخ القبول :	تاريخ النشر :
2023/05/11	2023/05/24	2023/12/29

ملخص

جاءت هذه الورقة البحثية بهدف التعريف بمفهوم المرض الاجتماعي باعتباره أحد المفاهيم ذات المضامين المعرفية والاجتماعية والإنسانية التي تعبر عن بعض الأزمات الاجتماعيةوقضايا المجتمع المستجدة الناتجة عن خلل في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، والتي تناولها مالك بن نبي كأساس لصياغة نظريته حول التغير الإجتماعي ، وقد رأى في المرض الإجتماعي مرحلة التحلل البطيء الذي يسري في الجسد الإجتماعي الذي يصل غلى الانحلال التام عندما تغلب المصالح الشخصية وتتضخم الأنا عند الفرد وانعدام الصلة الاجتماعية والفاعلية المتبادلة بين الأفراد التي تعتبر أساس حياة الجسد الإجتماعي .

الكلمات المفتاحية: المرض الاجتماعي؛ المجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية؛ الثقافة.

Abstract:

This research paper aims to introduce the concept of social disease as one of the concepts with cognitive, social and human contents that express some social crises and emerging community issues resulting from a defect in human and social relations, which Malik bin Nabi dealt with as a basis for formulating his theory on social change, and he saw in the disease Social The stage of slow decomposition that takes place in the social body, which reaches complete dissolution when personal interests prevail, the ego of the individual becomes inflated, and there is a lack of social connection and mutual effectiveness between individuals, which is the basis of the life of the social body.

Keywords:Social disease, society, social relations, culture

مقدمة :

تعتبر العلاقة التفاعلية بين الأفراد أو بين الفرد والجماعة الإجتماعية التي ينتمي إليها أساس حياة الجسد الإجتماعي فهذه الصلة التي تتبلور من خلال الممارسات اليومية والمواقف الإجتماعية المختلفة تعبر عن ثقافة التفاعل الإجتماعي التي يبنيها الفرد إنطلاقا من تنشئته الإجتماعية التي هي بمثابة الأساس في بناء الصلة الإجتماعية وأيضا إنطلاقا من مجموعة القيم والمعايير التي يكتسبها ، الامر الذي يمكنه من إداراك دوره ووظيفته في النسق الإجتماعي نحو تحقيق التوازن والاستقرار ، ولكن يحدث أي يختل هذا التوازن بسبب خلل على مستوى التنشئة أو مستوى القيم والمعايير ينسحب بالضرورة على عملية التفاعل بين الفرد ومجتمعه وقد عبر عنه مالك بن نبي ب" **المرض الإجتماعي"** إذ أنه حالة من التذبذب والإختلال تصيب المجتمعات الإنسانية نتيجة فساد العلاقات الإجتماعية الذي أنتجه تضخم الذوات وبالتالي إستحالة العمل الاجتماعي الضروري لبناء مشروع المجتمع وقد عبر عن فكرته هذه في كتابه " ميلاد مجتمع".

لهذا سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على مفهوم المرض الاجتماعي في فكر مالك بن نبي وفهم المقاربة السوسيولوجية التي قارب بها المرض الاجتماعي في المجتمع الجزائري والتعرف على أبرز دلالاته.

1. مفاهيم أساسية:

إن التحديد والفهم الدقيقين لمفهوم المرض الإجتماعي يستلزم الإحاطة ببعض المفاهيم التي ترتبط به وذلك لتحديد إطار مفاهيمي له ثم محاولة شرح المقاربة السوسيولوجية لهذه الظاهرة في فكر مالك بن نبي في المجتمع الجزائري على وجه الخصوص ، وجدير بالذكر أن مالك بن نبي أثناء تحليله لمفهوم المرض الإجتماعي إعتمد على عدة مفاهيم أبرزها:

المرض :Disease

الحالة التي يكون فيها الجسم بسبب قصور أوخلل عضو واحد أو أكثر من أعضاء الجسم ، مما يعيقهعن القيام بوظائفه على نحو سليم، فهو حالة التغير في شكل ووظيفة عضو أو جهاز ما ينتج عنه عدم قدرة الفرد على القيام بأعماله اليومية الاعتيادية ويكون الشفاء فيه صعبا دون تلقي العالج المناسب وهوانحراف عن الحالة الطبيعية للجسم الى الحد الذي تصبح فيه الفعاليات الفيزيولوجية لألنسجة غير قادرة لإعادة الجسم الى الحالة الطبيعية.(بتصرف عن الشهابي.2021.ص 05).

وهذا الخلل (المرض) له تأثير على الحياة الاجتماعيةوتفاعلات الإنسان. (Carole. Notion de maladie formation.2017.P03)

وعليه نقصد بالمرض الاضطراب الوظيفي المتطور ، فالمرض ليس حالة ثابتة ، وإنما حالة حركة متطورة تطورا غير طبيعي في جسم الإنسان ،

وهذا التطور قد يأخذ فترة طويلة أو قصيرة ولكنه ينتهي دائما بنتيجة قد تكون إما الشفاء التام أو الوفاة أو تقف في مرحلة وسط تعمل على إعداد الجسم لظروف جديدة، ويسبب هذاالخلل نوعا من القلق لا يمكن التنبؤ بأعراضه دائما ويرتبط بنشأة الفرد منذ القدم ، له تأثير على الحياة الإجتماعية والتفاعلات الإنسانية. بتصرف عن (بتصرف عن كزيز. المرض الفكري الإجتماعي.2022ص27).

يتضح من التعاريف السابقة أن محاولة الإحاطة بمفهوم المرض يدل على أنه يركز على جوانب فيسيولوجية غابا ما تشكل المرض البيولوجي، وهو المفهوم الشائع للمرض في المجالات العلمية ، و أحيانا يُعنى أيضا علم النفس الإكلينيكي بالتفسيرات النفسية والعيادية لبعض الأمراض.

إلا أننا في هذه الورقة البحثية في محاولة من للإلتزام بحدود تخصصنا نحاول تفكيك مفهوم المرض الذي يصيب الفرد ككائن إجتماعي وليس بيولوجي، هو خلل على مستوى الأفكار والتفاعلات، وثل هذه الأبعاد التي بنى عليها مالك بن نبي مقاربته السوسيولوجية للمرض الإجتماعي ، فماهو المرض الإجتماعي؟

المرض الاجتماعي: Social disease

يعود استخدام هذا المفهوم أول مرة إلى " مالك بن نبي " وقد عبر عنه بأنه عملية تمزق في شبكة العلاقات الإجتماعية لمجتمع ما فتصبح بذلك عاجزة عن القيام بأي نشاط مشترك بفعالية، إلى أن ينتهي الأمر

إلى التحلل الكلي بعد أن يحتل المرض الجسد الاجتماعي، وبين ظهور المرض الإجتماعي في المجتمع في في كتابه ميلاد مجتمع وقال" قد يبدو المجتمع في ظاهرة ميسورا ناميا، بينما شبكة علاقاته مريضة ويتجلى هذا المرض الإجتماعي في العلاقات بين الأفراد عندما يختفي الشخص أو خاصة عندما يسترد (الفرد) إستقلاله وسلطته في داخل الجسد الإجتماعي."(بن نبي ،ميلاد مجتمع، 1986.ص 43)

المجتمع:society

في مفهوم المجتمع قال مالك بن نبي أنه "الجماعة الإنسانية ، التي تتطور إبتداءا من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح (ميلاد) .

ولكن حين نتحدث عن ميلاد (معين)، فإننا نُعرِفه ضمنا بوصفه حدثا يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة، كما يسجل نقطة إنطلاق لحركة التغيير التي تتعرض لها الحياة ويظهر هذا الشكل في صورة نظام جديد للعلاقات بين افراد جماعة معينة.

وخلص إلا أنه لكي نعطي تعريفا منطقيا لموضوع المجتمع، ينبغي أن نربطه بمعامل الزمن، ربطا نحدد معه لهذا المعامل دلالته النفسية والإجتماعية، وعليه يصبح **المجتمع هو:** الجماعة التي تغير دائما خصائصها الإجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى اليه من وراء هذا التغيير ، وهو ليس مجرد مجموعة الأفراد، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقالنظام معين."(بتصرف عن بن نبي .ميلاد مجتمع. 1986.ص16-17)

شبكة العلاقات الاجتماعية: social relations

شبكة العلاقات الاجتماعية مكونة من أفراد، يقوم الأفراد بتكوينها كم تقوم هي بصياغة الفرد بطابعها. يضن مالك بن نبي أنه لميلاد المجتمع ونهضته، نحن في حاجة لشبكة علاقات اجتماعية قوية، حيث أكد على أن شبكة العلاقات ضرورية لأداء العمل الإجتماعي المشترك وهي نتيجة للظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها، فأول عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات .**(بن نبي .ميلاد مجتمع.1986.ص 28).**

الثقافة : Culture

وصف بن نبي الثقافة بأنها علاقة عضوية في سلوك الفرد، وأسلوب الحياة الاجتماعية، وهي نظرية في السلوك الاجتماعي، وليست نظرية في المعرفة،فهي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".
وهو يرى أن الثقافة فلسفة وقيم خلقية فردية واجتماعية تؤثر في تكوين وتنشئة الفرد منذ الطفولة، بحيث تصبح نمطاً لصيقاً بحياته، ووشماً مميزاً لسلوكه، وفق النمط الذي تشكل فيه. وبذلك فهي"المحيط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياتنا.. وهي تتمثل بوظيفة الدم في جسم الإنسان، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد هو – البلازما- ليغذي الجسد، والثقافة في ذلك الدم، الذي في جسم المجتمع، يغذي

حضارته، ويحمل أفكار الصفوة، كما يحمل أفكار العامة والخاصة. وكل هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة".(بتصرف عن بن نبي. مشكلة الثقافة ، 1984، ص 42-72).

فالثقافة إذن هي: "المحيط الفكري والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والروحي..، الذي يحتضن الوجود الإنساني في المجتمع، ويدعمه بالخبرة المعرفية والسلوكية والأخلاقية والجمالية..، وفي هذا المحيط تتشكل طباع، وشخصية، وذوق الفرد الثقافي، محكومة بالسنن النفسية والثقافية. فالثقافة إذن: نظرية في العرفة، ومنهج في السلوك وطريقة في العمل والبناء." (بتصرف عن : بن عروس .مقاربة المرض الاجتماعي في المجتمع الجزائري عند مالك بن نبي. 2022. ص13).

وهو ما يتفق فيه مع تعريف تايلور للثقافة بأنها "تلك الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة الي أي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في مجتمع."

ويظهر في تعريف بن نبي للثقافة موازنته بين التعريفات التي وضعها كل من "رالف لينتون الذي يرى بأنها مجموعة من الأفكار و وأوجبرن الذي يرى بأنها مجموعة من الافكار والأشياء والماركسيون الطين يرون بأنها إنعكاس للمجتمع وعبر عن الاختلافات وتعدد التفسيرات في تعريفات الثقافة بأنه أمر طبيعي باختلاف الخلفية الإجتماعية لكل مجتمع فيمكن أن تكون صورة لواقع إجتماعي معين ، وأخر لا يُعرفها

إلا بوصفها مشروعا ، وثالثا موال فيه المشروع غامضا." (بتصرف عن بن نبي. مشكلة الثقافة ،1984، ص 42-72).

2. سوسيولوجيا المرض الاجتماعي " مالك بن نبي أنموذجاً":

يحدث أن تطرأ تغييرات وإختلالات في الجسد الإجتماعي تتمثل في تمزق العلاقات الإجتماعية وتراجع الفعالية الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وتراجع روح المبادرة للعمل الجماعي، والمطالبة بالحقوق وعدم أداء الواجبات مما ينتج نوعا من السلبية تنسحب على قوة البناء الثقافي للمجتمع ككل نتيجة سيطرة الافكار السلبية على مكوناته سواء لغة أو عادات او قيم ومعايير.

وعليه يمكنناتحديد دلالتين بارزتينللمرض الاجتماعيهما تمزق شبكة العلاقات الإجتماعية إ ذ شبه بن نبي مجموعة العلاقات الإجتماعية داخل المجتمع بالشبكة وربط تطور أي مجتمع بتطور هذه العلاقات كماً وكيفاُ فإذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كماً وكيفاً في شبكة علاقاته .(بن نبي. ميلاد مجتمع ،1986، ص 42).

وعندما تضعف فعالية هذه الشبكة فذلك دليل على أن المجتمع مريض ، وهذا ما أطلق عليه بن نبي مصطلح التحلل ، ووضح أنه قبل أن يتحلل المجتمع كلياً يحتل المرض جسده الإجتماعي في هيئة إنفصالات في شبكته الإجتماعية واهم أسباب ذلك تضخم الأنا أو الذوات ، وأشار ألى ان الأزمات الإجتماعية تتجلى في إهتراء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تشكل الشرك الموضوعي الاساسي لفعالية

أداء المجتمع.(برغوث. محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي. 2004، ص 60).

ويظهر جليا ربط بن نبي بين تفكك العلاقات الإجتماعية والاختلالات الي تمس البناء الفكري والثقافي للمجتمع بما يحتويه من افكار فاضطرابالحياة الاجتماعية حسبه ناتج عن انفصام الأفكار عن نماذجها المثالية فتظهر في المجتمع الظواهر الغريبة التي هي محاولة عن تعويض القصور الفكري ولكنه في الحقيقة مظهر من مظاهر موت الأفكار واختلالها منطقياً.(طالبي . فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر. 1991.ص 166). وخلاصة لذلك قال بن نبي "إذا تفككت الشبكة نهائيا، فذلك إيذان بهلاك المجتمع وحينئذلا يبقى منه إلا ذكرى مدفونة في كتب التاريخ".(بتصرف عن العمراوي .الفكر الاجتماعي عند مالك بن نبي.2019.ص201.)

أما عن الدلالة الثانية للمرض الاجتماعي فهي انعدام الفعالية الإجتماعية والفعالية الإجتماعية هي تعبير عن العصر الذهبي لأي مجتمع إذ تكون قوى أفراده في حركة دائمة وصاعدة وديناميكية ،الفرد في هذه المرحلة يكون في أحسن ظروفه ، وهذه العلاقة بين حالة الفرد وحالة المجتمع نتاج لمفهوم الفرد ككائن إجتماعي يعيش داخل المجتمع ويكتسب منه ثقافة معينة ويصبح في كل سلوك يقوم به هذا الفرد سواء كان سلوك سوي أو عكس ذلك انعكاس في الحياة الاجتماعية وأيضا تنعكس طبيعة النظام المجتمعي السائد على سلوك الفرد وشخصيته، لهذا فالحديث عن عدم الفاعلية هو حديث عن خلل في علاقة بين الفرد ومجتمعه ، وأساس هذا الخلل النزعة الذاتية

وسيطرتها على النزعة الإجتماعية التي تعكس شروط العمل المشترك والهادف إلى الحفاظ على استقرار المجتمع وتوازنه ، ويقول بن نبي في كتابه وجهة العالم الإسلامي بأن "لا يجب أن ننسى روح المبادرة هو المقياس الوحيد لفعالية الفرد"(بن نبي. وجهة العالم الإسلامي، 2005.ص73)، وحاول بن نبي أن يوضح بأن عدم الفعالية الإجتماعية أساسه الانغلاق على الذات وعدم الاكتراث بما يحدث في المجتمع من ظواهر ومعضلات وآفات إجتماعية ، أصبح بذلك المجتمع الجزائري يسوده نوع من الإختلال في الأدوار والوظائف داخل المؤسسات الإجتماعية وهو ما عبر عنه ميرتون ، وتراجع التضامن والتكافل الإجتماعيوتوحيد الهدف نحو الخروج بالمجتمع نحو الرقي ، وفي هذا السياق **إيميل دوركايم** عن المجتمع بكونه بناء يتكون من مجموعة الأبنية التي تكمل بعضها البعض من خلال الأدوار، وأن استقرارالمجتمع يكون نتيجةالتكيف الاجتماعيوالتضامن العضوي والآلي، لكن يركز أيضا علىمفهوم الخلل المعياري فحسبهوجود خلل معياري على مستوى تفكير الفرد يؤدي إلى وجود مرض اجتماعي.

وقد وضح **دوركايم** عند تناوله لأهمية التكافل الإجتماعي والعمل المشترك من أجل تحقيق الهدف المشترك أن " الإنسان ليس فقط كائن أخلاقي بل هو كائن يعيش في إطار جماعات، تتكافل اجتماعيا من أجل الحفاظ على توازن المجتمع ، ويصنف نوعين من والتضامن الإجتماعي:

أ. **"التضامن الآلي:** ويتميز هذا النوع من التضامن بالبساطة حيث انه غير خاضع لمبدأ توزيع العمل.

ب. **التضامن العضوي:** ويتميز بالتعقيد وله مميزات في الوظائف،ويخضع لمعيار مبدأ تقسيم العمل،ويتم فيه توزيع الوظائف على الجماعات والأفراد بالإضافة إلى تميزه بزيادة التخصص ويكون هذا النوع عنصرا أساسيا في الحياة الاجتماعية ويسود عموما داخل الوسط الاجتماعي الذي يطغى عليه هذا النوع سلطة القانون واحتكام الجميع إلى مبادئ القانون بمعنى أن حياة الناس تتجه إلى التنظيم الرسمي وتساير صلاحيات السلطات بين مختلف الأدوار الاجتماعية في مفهوم التنظيم وتدرجه."(بتصرف عن الإدريسي. ايميل دوركايم -تقسيم العمل- .2010.ص07).

"وتعتبر ملاحظة دوركايم حول المشكلات الاجتماعية واسعة الانتشار، أي لم يكن هناك مجتمع لم تكن فيه أي انحرافات عن قاعدة منظومة المعايير الإجتماعية وفي هذا الصدد لا ينبغي أن تُفهم الجريمة في البداية على أنها علم أمراض اجتماعي بمعنى اضطراب أساسي في المجتمع، على العكس من ذلك فإن الجريمة في المجتمعات الحديثة التي تتميز بمحددات أخرى معيارية توضح القواعد الاجتماعية من خلال الانحراف نفسه والمعاقبة على خرق القاعدة تصبح شرعية القاعدة مرئية لجميع أفراد المجتمع وتؤكد صحتها."(بتصرف عن كزيز. المرض الفكري الاجتماعي. قراءة في المفهوم، 2020.ص28).

كما تتجلى عدم الفعالية الاجتماعية في عدم وجود ترابط عضوي بين ما يتوصل إليه العلم في كافة المجالات واستثماره في الحياة الاجتماعية، من أجل الرقي بالمجتمع.

وعليه يمكن تلخيص أهم الأسباب الكامنة وراء بروز المرض الاجتماعي في المجتمع الجزائري في المخطط التالي:

الخاتمة:

مما سبق يمكن القول أن مقاربة المرض الاجتماعي في المجتمع الجزائري سوسيولوجياً في فكر بن نبي استدعى ربطه بثقافة المجتمع الجزائري لأن الثقافة بما تحمله من أفكار قيمية أخلاقية وتربوية وثقافية وجمالية وعلمية هي التي تسمح بتماسك وانسجام المجتمع، واختلال هذا البناء الثقافي انسحب وأثر على البناء الاجتماعي وعلى مستوى التفاعلات بين الأفراد في الجماعة الاجتماعية مما شكل ما أسماه بن نبي بتمزق الصلات الاجتماعية وغيابالفعالية فتملك المرض الاجتماعي من الجسد الاجتماعي، ويبقى السبيل الوحيد لمعالجة المجتمع من الأمراض الاجتماعية التي تفتك به وتحول بينه وبين تطوره وتحضره هو فهم الأسباب الكامنة وراء هذا المرض وإعادة بناء المنظومة الثقافية الاجتماعيةمن خلال إصلاح الخلل الذي حدث على مستوى التنشئة وعلى مستوى الوعي الاجتماعي وذلك بدحض الأفكار السلبية غير الفعالة و دعم الفعالية وتشجيع أنماط السلوك السوية

التي تلبي حاجات المجتمع الضرورية وتسعى لتحقيق هدف مشترك واحد هو معالجة المجتمع والخروج به من التخلف.

المصادر والمراجع:

1. العمراوي، زكية (2019)، **الفكر الاجتماعي عند مالك بن نبي- قراءة سوسيومفاهيمية- في كتاب ميلاد مجتمع**، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، م9، ع19، الجزائر.

2. بن نبي، مالك(1986).**ميلاد مجتمع -شبكة العلاقات الإجتماعية-** ،ط3، دار الفكر، دمشق.
file:///C:/Users/Adlen/DownloadsD8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9.pdf

3. بن نبي، مالك(1984)،**مشكلة الثقافة**،ط4، دار الفكر، دمشق.
file:///C:/Users/Adlen/Downloads/%D9%85%D8%B4%D9%83%D9%84%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9_Foulabook.com_.pdf

4. بن نبي، مالك(2005)،**وجهة العالم الإسلامي**، منورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر.f.
file:///C:/Users/Adlen/Downloads/%D9%88%D8%AC%D9%87%D8%A9%20%D8%A7B3%D9%D9%8A_%20%D9%85%D8%

5. بن عروس، يمينة (2004):**مقاربة المرض الاجتماعي في المجتمع الجزائري عند مالك بن نبي** مجلة دراسات وأبحاث، م15،ع02، الجزائر.

6. برغوث، الطيب (2004):**محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي**، ط2، دار قرطبة، الجزائر.

7. طالبي، عمار (1991): فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر، حولية كلية الشريعة، ع9، الجزائر.

8. كزيز، أمال(2022):**المرض الفكري الاجتماعي-قراءة في المفهوم-** ،مجلة التمكين الاجتماعي، م4، ع1، الجزائر.

9. الإدريسي، لطفي(2010): **ايميل دوركايم – تقسيم العمل -** https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=206588، تم الاطلاع عليه يوم 01-05-2023.

10.Carole TOUTOY (2017), **Notion de maladie.formation.**http://www.ifpssnc.nc/MyKv2/php/_DOCS/SEQUENCES/NH03504284/coursNotiondemala die.pdf